

الباب الثامن

الحوار منهج وضرورة تعايش

obeikandi.com

الحوار منهج وضرورة تعايش

لم تكن البشرية يوماً من الأيام أشد حاجة إلى الحوار منها في هذا الوقت العصيب حيث نيران الكراهية وأحقاد الطائفية وصراع العقائد وحب الاستعلاء والتسلط والتي لم تترك بلداً إلا وقد علاه سحائب دخانها المسموم ، فكم من أرواح زهقت وأموال تُهبت وأعراض هُتكت وحضارات دُمّرت ، ومع التقدم العلمي غير المسبوق في كل مناحي الحياة وخاصة في مجال التسليح فإن ما ينتظر البشرية اليوم أسوأ بكثير مما تجرّعته في الحريين العالميتين .

من هنا وجب على كل من له قدرة على التسيير من أهل الإدارة والحكم أو التأثير من أهل الفكر والحكم أن يفتحوا فيما بينهم من قنوات الحوار التي تجري فيها مياه الود والصدق ما يعيد الخصوبة والغناء إلى أرض العلاقات اليابسة لشمر بأزهار الخير والسلام ، لا بد أن يبنوا جميعاً متعاونين متكاتفين جداراً صلباً من قوة الإرادة وتصميم العزيمة وسلامة المنطق ما يصد أي محاولة خبيثة للوقعة بين الحضارات ، ليس من شك بأن مثل ذلك الجدار سيجبر أمواج العنف والإرهاب على التراجع والانكسار مرتدة على أصحابها بالدمار .

ولكن علينا إذا ما أردنا أن نصل إلى هذا الهدف النبيل ألا نجنح بعاطفة إلى عالم الخيال لتتعامى عن معوقات التفاهم ولا نتلمس أسباب الداء حيث يكتفي الكثيرون في حواراتهم بالخطب والمحاضرات التي تدعو إلى السلام والتفاهم والتي تحتوي في معظمها على المجاملات أو الظهور الإعلامي ، لا بد من قراءة الواقع قراءة صحيحة ومناقشة كل المعوقات بجديّة وحيادية وإنصاف دون ميل وبشجاعة لا تخاف يكون العقل دافعهم والعدل قائدهم والمساواة في الحقوق والواجبات واحترام إرادة الغير هي مظلتهم ، لا استعلاء بقوة ولا تفاخر بجنس ولا تحقيراً لفقر أو ازدياءً لفكر ، بغير ذلك سوف يكون حواراً لا حواراً .

إن العالم اليوم يعيش تحولاً تاريخياً خطيراً يهدف بل ويصرح بوجود إخضاع العالم لثقافة معينة رأت نفسها نموذج الكمال للقيم والأخلاق ينبغي أن يُحتذى ويُقتفى ، وفي سبيل هذا الإخضاع استخدمت كل الوسائل سياسية اقتصادية إعلامية وأخيراً عسكرية اتخذت مسلك القوة لفرض الإرادة على الغير.

وللأسف بسبب غياب سُنة التدافع لم تستند هذه القوة على شرعية دولية أو معايير قانونية سوى أنها القوة العظمى والكبرى والأشد فتكاً والأكثر خطراً ، فكشفت بكل صلف عن وجه غير مُرضٍ ولا مقبول من كل شعوب العالم ، حيث لا حياء ولا حياد.

بدا من الأهمية بمكان الدعوة إلى الحوار لا سيما عند الأزمات بمختلف أنواعها فكرية سياسية اقتصادية عسكرية ، وليس معنى الحوار أن يرتمي أحد الطرفين في حضن الآخر ذائباً ولا أن ينكمش على نفسه متجمداً فلا يرى سواها ولا يسمع إلا حديثها ، وإنما الحوار هو أن يصغي الطرفان لبعضهما البعض قصد فهم الآخر كما يريد هو من الآخر أن يفهمه ، ولن يكون هذا إلا إذا اعترف كل طرف بالآخر معه الإرادة الخالصة والجادة من كليهما لهذا التفاهم .

وقد أخذ الحوار أشكالاً عدة في وقتنا الراهن ، فمنه الحوار العربي الأوروبي ، الحوار بين ضفاف المتوسط ، الحوار بين أبناء القارة الواحدة ، الحوار بين الأديان ، الحوار بين الإسلام والمسيحية ، الحوار للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، الحوار بين أبناء البلد الواحد ، الحوار بين مؤسسات الدولة وبعض أفرادها بقصد تصحيح مسارهم الفكري كما حدث في مصر مع الجماعات الإسلامية في السجون بين علماء الأزهر والجماعات الإسلامية.

تاريخ الحوار في الإسلام :

لقد حث الإسلام على الحوار ورعّب فيه ، وضرب لنا القرآن الكريم أروع الأمثلة التي تحث عليه ، ويمكن القول دون أي مبالغة أن القرآن الكريم كتاب حوار له ضوابطه وأطره ومعاله حيث نستطيع وبدون عناء أن نرى فيه منهجاً متكاملًا عن الحوار وتفصيلاته وطرق التفكير وتنوع الأساليب وكيفية استخدام

قواعد العقل والمنطق فيه ، وقبل الدخول في الحوار من خلال القرآن الكريم لا بد من توضيح معناه حتى يتضح مفهومه .

ما هو الحوار ؟

الحوار معناه مراجعة الآخر في منطقته وتفكيره ، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَن يُجَادُوا ﴾ [الانشقاق ١٤] أي : لن يرجع ويعود بعد الممات ، ولا يمكن متابعة الحوار إلا إذا سلم الطرفان للمبادئ العامة والأفكار الأساسية التي يؤمن بها كلا الطرفين ، أما إذا تحول الموقف بينهما إلى تناقض وتقابل في الأفكار وعدم التسليم لقواعد النقاش العلمي أو المنطقي فإن الحوار ينقلب إلى جدال ، بمعنى إرادة إبطال حجة الخصم بأي وسيلة ، فإن كان بالحق فهو جدال بالحق وإلا فهو جدال بالباطل .

وليس على وجه الأرض أكثر جدلاً من الإنسان كما جاء في القرآن قال تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شُؤْمٍ جِدَالًا ﴾ [الكهف ٥٤] وقال تعالى : ﴿ وَجُنُودَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ يُنَادِحُوا بِالْحَقِّ وَأَعْتَدُوا مَائِي وَمَا أَنْذَرُوا هُزُومًا ﴾ [الكهف ٥٦] وقد جاء لفظ الجدال في القرآن الكريم في آيتين اثنتين في قوله تعالى : ﴿ الْعَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ فَمَنْ رَضِيَ فِيهِمْ لَعْنُ فَلَا رَفْتَ وَلَا سُوءَ وَلَا جِدَالَ فِي الْعَجِّ ﴾ [البقرة ١٩٧] .

الثانية : ﴿ قَالُوا يَا نُوْحُ قَدْ جَدَدْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾

[هود ٣٢] .

وقد ذكر هذا الفعل في القرآن الكريم في خمس وعشرين آية ، وقد جاءت في القرآن الكريم سورة اسمها سورة المجادلة وفي أول السورة ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ [المجادلة ١] وقد جاء الأمر بحسن المجادلة في القرار الكريم في قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَاتِنَ مِنَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل ١٢٥] .

منهجية الحوار في الإسلام :

الاختلاف قدر الله وحكمته :

ما خلق الله الخلق بصمة واحدة ولا نسخة متكررة ، وإنما أوجد الكون كله مختلفاً متنوعاً ، قال تعالى : ﴿ وَهِيَ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخِلَافَ أَلْيَسَ عَلَيْكُمْ وَالْبُرْجَانُ ﴾ [الروم ٢٢] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَزَلْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُا وَعَظْمٌ كَبِيبٌ سُوْدٌ ﴿٢٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر ٢٧ ، ٢٨] .

هذا الاختلاف المادي يقابله اختلاف معنوي في المفاهيم والعقائد والأفكار ، قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنكُمْ شِرْكَةً وَمِنْهَا لِمَا ﴾ [المائدة ٤٨] وقال تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَسْتَلِ عَنِّي شَأْكِيهِ ﴾ [الإسراء ٨٤] .

الاختلاف من أجل إثراء العقول وزيادة المعارف :

من حِكْمِ الاختلاف أن يتبادل الناس المعارف والثقافات وأن تتلاقح العقول والأفكار وتلتقي المعارف والدراسات ، فأساس الحكم الخاطيء التصور الخاطيء والجهل بالشيء قد يورث عداه ، وأقل صور ضرره عدم الانتفاع بها عند الغير ، ولذا كانت أول خطوة في العلاقات الحضارية والإنسانية هي المعرفة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات ١٣] .

فلا بد أن تتعاون البشرية من أجل خيرها العام ، فما أوجد الله أحداً بصفات الكمال فهذا ما اختص به نفسه وذاته ، وإنما أوجد الخلق ليكمل بعضهم بعضاً ويساعد بعضهم بعضاً ، فما من حضارة إلا وهي نتاج هذا التلاقي والتلاقح وما من حضارة إلا وقد أخذت بقدر ما أعطت ، واستفادت كما أفادت ، ولكن ينبغي أن يكون هذا التعاون من أجل الخير العام من أجل إعمار الكون ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَعَارَفُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَمَآوَأُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة ٢] .

فلولا الاختلاف في المفاهيم والأفكار ما كان الحوار ، وهذا يقتضي ضمناً قبول الآخر واحترامه والاعتراف بحقه في ممارسة حرية الاعتقاد والتفكير ، والاختلاف

في منظور الإسلام مشيئة الله وحكمته ، قال تعالى : ﴿ وَكَوَشَاءَ اللَّهِ لَجِئْتَكُمْ مِنْهُ وَبَعْدَ ذَلِكَ لَنْ يَنْبَلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

الالتقاء حول نقاط الاتفاق لتفعيلها :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعُوا لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَابَتِهِمْ اللَّهُ فَمَا لَمَّا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران ١٩٩] وقال تعالى : ﴿ لَكِنَّ الرِّبَايُونَ فِي الْعِلْمِ وَيَتَّبِعُونَ وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ وَالْمُؤْمِنُونَ الرَّاكِعُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢] وقال تعالى : ﴿ وَتَجِدُ أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَاءَ مَا يَكُونُ لِقَابِ أَهْلِهَا ﴾ [المائدة: ٨٢] وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَكُونُوا لَنَا حَلَّالِينَ أَمْ تُنَادُونَ لِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بِمَا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ بِهِ مِنْ قَبْلُ وَلَا تَجِدُ أَهْلَهُمْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَاءَ مَا يَكُونُ لِقَابِ أَهْلِهَا ﴾ [آل عمران ٦٤] .

أسلوب الحوار وآدابه :

العلم والمعرفة أساس الحوار :

لا يمكن أن يثمر حوار بين الجهلاء ، فالعدم لا يعطي شيئاً فأداة الحوار الأولى هي المعرفة الصحيحة والتي تحدت القرآن عنها من خلال ذكر الحكمة والبصيرة والعلم، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُمْ ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقد ذم القرآن من يجاور بغير علم قال تعالى : ﴿ وَرَبِّكَ أَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا يُبَدِّلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرُ حَيْرًا وَلَا هُنَّكَ وَلَا يَكْتُبُ مِثْرًا ﴾ [الحج: ٨] ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَيَغْيِرُونَ آيَاتِهِمْ كَرِهَ اللَّهُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا ﴾ [غافر: ٣٥] .

الاحتكام إلى الدليل والبرهان :

لو كانت مجريات الأمور وسنن العلاقات والمعاملات على مجرد الدعاوى المجردة العارية من الأدلة والبراهين لادعى الكثيرون ما يشاءون من حقوق الآخرين ، ولو كانت الأحكام تجري بمجرد الدعاوى لهدمت صروح العدالة

وخرّب العمران وأكل المفسدون والأفاقون والكاذبون وما أكثرهم حقوق غيرهم ،
ولذا يطالب الإنسان عند ادعائه بالبيان والدليل والبرهان الذي يثبت صحة
ادعائه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] .

الرفق واللين :

قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَعْرَظَةِ الْمُنَسَّةِ ﴾ [النحل ١٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا
يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١٢١﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْوَالِدِ مَا لَمْ يَأْتِكَ قَائِمِينَ أَهْدِيكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١٢٢﴾ يَا أَبَتِ لَا
تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿١٢٣﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ
وَلِيًّا ﴿١٢٤﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْعَهْقِ بِإِبْرَاهِيمَ لَمَنِ لَمْ تَنْتَهُ لِأَرْحَمَنَكَ وَأَهْجُرِي مِيلًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ
سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿١٢٦﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ
بِدَعَاؤِ رَبِّي شَاقِيًّا ﴿١٢٧﴾ ﴾ [مريم ٤١ - ٤٨] وقوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَا أَنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٣٠﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلَا لِيْنَا
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْتَشِرُ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه ٤٣ ، ٤٤] وقال تعالى : ﴿ قِيمَا رَسَمُوا مِنْ آيَاتِنَا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران ١٥٩] .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْمَسْنُونَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ ﴾ [فصلت ٣٤] .

الاختلاف في الحوار لا يعني السباب والسخرية والاستهزاء :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسَاءَ لِمَنْ يَسَخَرُ مِنْهُمْ وَلَا يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾
[الحجرات ١١] وقال تعالى : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَرِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ [النساء ١٤٨] وقال
تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام ١٠٨] .

أنواع الحوار :

حوار الله تعالى مع ملائكته في قصة خلق آدم ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَيَمْنُ سَخِجٌ بِحَسْبِكَ وَنَقَدَسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] إلى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَهْلُكُمْ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣] .

حوار الله تعالى مع إبليس عن سبب رفضه السجود لآدم :
ونتعلم منه إقامة الحججة على العصاة وعدم المؤاخظة أو العقاب قبل سماع حجتهم ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ خَلْقِكَ مِن لَّدُنِّي وَتَلَقَّيْتُمُنِي وَلِيْنِي ﴾ [الأعراف: ١٢] .

حوار الله مع آدم عليه السلام بعد المعصية :

وفيه اللطف في العتاب مع الأحياب وقبول الأعذار من الأخيار وإلهام النادمين التائبين سبيل الاستغفار. قال تعالى : ﴿ وَكَأَنَّهُمَا رَجِيمًا أَوْ أَبْتِهَامًا سَخِرَ لَكُمَا الشَّجَرُ وَأَقْلٌ لَّكُمَا إِذْ الْكٰتِبٰتِنِ لَكُمَا مَوَدُّيْنَ ﴿٢٣﴾ قَالَا رَبَّنَا عَلَّمْنَا مَا لَا نَكْفِيكَ وَإِن لَّرَقِيْرًا لَّكَ وَتَرَجَعْنَا لَكَ كَوْنًا مِّنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴿٢٤﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوْتُونَ وَفِيهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٦﴾ [الأعراف: ٢٢-٢٥] .

حوارات الله مع نبيه موسى عليه السلام ومنها حوارها عندما طلب النظر إليه : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا سَجَدَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَمَلًا نَّكَسًا وَخَرَّ مُوْسَىٰ سَوْفًا فَلَمَّا آفَقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ بُدْثُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿١٧٣﴾ قَالَ يَسْمَعُونَ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَ لَمِ الْكَلِمَاتُ فَخَذَّ مَاءً أَتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِيْنَ ﴿١٧٤﴾ [الأعراف: ١٤٣-١٤٤] .

حوار الله تعالى مع نبيه عيسى عليه السلام يوم القيامة :

وفيه تعاليم أدب الخطاب مع الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا نَتَّ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي وَآلِيِّمِي مِنَ الْيَهُودِيْنَ دُونَ آفُو قَالِ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُوْنُ لِيٰ أَن أَقُوْلَ مَا لَيْسَ لِيٰ بِحَقٍّ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي قَدِيْسٍ وَلَا أَهْلُهُ مَا فِي تَفْسِيْكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوْبَ ﴿١٣٠﴾ مَا قُلْتُ لَكُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِيٰ بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَلَّيْتَنِي كُنْتُ أَهْلَ الرَّفِيفِ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٣١﴾ إِنَّ تَعَالِيَهُمْ فَلَا تُحِيطُ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٣٢﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

حوار ابني آدم عليه السلام :

وفيه وعظ مردي الجريمة قبل ارتكابها وبيان زيف منطقهم وزجرهم وعدم مقابلة الظلم بمثله والصبر على قدر الله قال تعالى : ﴿ وَأَقْبَلْ عَلَيْهِمْ تَبًّا آتِقًا ءَادَمَ بِالسَّحْقِ إِذْ قَرَّبَا قُرْبًا فَاتَّقَبَلْ مِنْ أَحْوِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتَتَلَكَ قَالَ لِمَا يَتَّخِذُ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ لَيْنًا بَسَطْتَ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِسَاطِرٍ بِرِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِذْنِي وَإِذْنِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْفٰلِغِينَ ﴿٣٩﴾ [المائدة: ٢٧-٢٩].

ثم تأتي الحوارات بعد ذلك في القرآن الكريم بين الأنبياء وأقوامهم.

حوار نوح - عليه السلام - مع قومه :

وقد صابروهم في حوارهِ تسعمائة وخمسين عاماً حتى ملأوا منه ، وقالوا له : ﴿ يَنْبُؤُكَ فَجَدَدُكُنَا فَكُفِّرْتُمْ جَدَلْنَا فَلَأِنَّا يَمَأُتُونَنَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ [مروءة: ٣٢].

حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع النمرود :

﴿ أَنْتَ تَرَى الَّذِي سَخَّجَ إِبْرٰهِيْمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرٰهِيْمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبَيِّنُ لِي وَيُزَكِّيْنِي قَالَ أَنَا أُخِي - وَأَيُّهُ قَالَ إِبْرٰهِيْمُ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي السَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُذِّقَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضّٰلِّينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقد استخدم نبي الله إبراهيم عليه السلام أسلوباً عقلياً وهو السكوت عن بعض الادعاء الباطل للخصم لإجامة الحجة وإخراسه فيما يدعيه من طريق آخر لا يستطيع ادعاءه ، فقد سكت عليه السلام على ادعاء النمرود أنه يحيي ويميت عندما شغب وأمر بالعفو عن المحكوم عليه بالقتل ولم يعف عن محكوم آخر ، واستدل بهذا الفعل المضلل لإثبات كونه يحيي ويميت ، فقال له إبراهيم - عليه السلام - ﴿ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي السَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

﴿ قَلَّمَ رَبِّيَ الْكُتُبَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَصْحَابٌ قَلَّمَ قَلَّمَ أَقَلَّتْ قَالَ يَنْقُومَ إِلَىٰ بَرِيءٍ مِمَّا كُتِرُونَ ﴾ [٣٧] إلى وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ حَقِيقًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٨﴾ [الأنعام ٧٦-٧٩] فكان حوارهم مع تفكره سبباً لهدايته للحقيقة ، هذه الحقيقة التي أورثته قوة الحججة بعد بيان المحجة ، فحاجه قومه فحاجهم وغلبهم كما جاء في الآيات ٨٠-٨٢ من نفس السورة.

حوارات نبي الله موسى عليه السلام :

ومنه حوارهم مع ربه عندما ناجاه أول مرة في سيناء وجعله نبياً ، حوارهم مع فرعون ودعوته إليه وقد جاء بأساليب متعددة وصور مختلفة ، وليس في القرآن الكريم قصة تكررت كقصة موسى عليه السلام فقد جاءت في السور الآتية سورة البقرة وفيها أحداث كثيرة بينه عليه السلام وبين قومه ، ومن أشهر الحوارات فيها قصة ذبح البقرة وكيفية التخاطب والتحاور مع المعتنين ، وسورة الأعراف وقد جاء فيها حوارات عدة مفصلة لبعض المواقع ، منه حوارهم مع فرعون ومع السحرة قبل وبعد الإيمان ، حوارهم مع قومه عندما طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً ، حوارهم مع ربه في طلب الرؤية ، حوارهم مع هارون - عليه السلام - وكذا في سورة هود وسورة إبراهيم وسورة الإسراء وسورة الكهف وفيها :

حوار بين الخادم والمخدوم من خلال رحلته مع فتاه :

وفي هذا الحوار جملة من الآداب التي ينبغي أن تراعى :

أولاً : عدم تمييز المخدوم عن خادمه في الطعام حيث قال طعامنا ولم يقل طعامي .

ثانياً : الأكل مع الخادم وعدم الانفراد عنه حيث قال آتنا ولم يقل آتني .

ثالثاً : الرفق والرحمة بالخادم حيث شعر عليه السلام بنصب خادمه وتعبه كما نصب هو تماماً ، فقال بصيغة الجمع ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَاهُنَا نَصَبًا ﴾ [الكهف ٦٢] .

رابعاً : إبداء العذر وتبريره بقوله : ﴿ وَمَا أَسْتَبِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ [الكهف ٦٣] ثم يأتي الحوار بينه عليه السلام وبين الخضر وهو حوار بين العالم والمتعلم وما فيه من آداب العالم والمتعلم سورة مريم وسورة طه و سورة النمل و سورة

القصص و سورة الصافات و سورة غافر و سورة الذاريات ، الحوار بين العالم والمتعلم وآداب تلقي العلم ، ثم تأتي الحوارات بين الأنبياء عليهم السلام وبين أقوامهم ، فنجد حوار نبي الله هود وشعيب ويونس ولوط ويوسف الذي نزلت فيه سورة كاملة باسمه .

وفي هذه السورة نجد حواره مع أبيه في شأن الرؤيا ، حوار إخوته بين بعضهم البعض وإجماعهم على إلقائه في الجب ، حوارهم مع أبيه بعد ادعائهم أكل الذئب له ، حواره عليه السلام مع امرأة العزيز ، حواره مع صاحبيه في السجن ، حوار إخوانه مع أبيهم بعد عودتهم من مصر ، حواره مع إخوانه بعد عودتهم إليه من الشام ، حواره مع إخوته بعدما عرفوه ، حواره مع أهله جميعاً بعد قدومهم مصر .

وحتى خاتمهم محمد ﷺ الذي امتلأ القرآن بحواراته مع قومه رداً على سؤال ، أو إزالة إشكال أو دعوة إلى الإسلام قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَتَّلُوا إِلَى حِكْمَتِهِ سَلَامٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا تَتَّبِعُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِمْ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ مِنَّا مَثَلًا شَيْئاً يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَرَوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران ٦٤] .

ونستطيع أن نجمل أنواع الحوار في القرآن على النحو التالي :

- حوار مع أهل الطاعة ومنه حوار الله مع الملائكة .
- حوار مع أهل المعصية ومنه حوار الله مع إبليس .
- حوار مع التائبين ومنه حوار الله مع آدم - عليه السلام .
- حوار في مجلس الحكم والقضاء حوار الله مع عيسى - عليه السلام .
- حوار مع من يريد فعل الجريمة ومنه حوار ابني آدم - عليه السلام .
- حوار مع مُدَّعي الألوهية ومنه حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع النمرود وحوار موسى عليه السلام مع فرعون .
- حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم المشركين .
- حوار الأنبياء مع أتباعهم المؤمنين .
- حوار الولد مع والده ومنه حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه .
- حوار الوالد مع ولده ومنه حوار لقمان مع ولده .

- حوار الإنسان مع نفسه كحوار إبراهيم - عليه السلام - مع نفسه عندما تفكر في ملكوت السموات والأرض .
- حوار بين الخادم وسيدته كحوار موسى عليه السلام مع فتاه .
- حوار بين العالم والمتعلم كحوار موسى عليه السلام مع الخضر .
- حوار بين الأصحاب كحوار الصحابين في سورة الكهف .
- حوار بين الأهل والأقارب كحوار يوسف عليه السلام مع أهله .
- حوار بين المضيف وضيوفه .

صفات المحاور :

حسن النية وإرادة الإصلاح :

إذا كان الهدف من الحوار هو الغلبة والانتصار لن يكون هناك تفاهم أو اتفاق، ولا يزيد الالتقاء بين المتحاورين إلا بُعداً، ومثلها كمثل السراب يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، أو كقطبي المغناطيس المتماثلين إذا ما اقتربا تنافرا وتباعدوا.

قال تعالى : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [هود: ٨٨].

تخيّر أحسن الأساليب :

لم يكتب القرآن بالدعوة إلى الحوار والحث عليه بل ارتقى به وعلمنا أخلاقه وآدابه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْعِقَتِ إِلَّا بِالَّتِي مِنْ أَحْسَنِ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لِهَمِّ رَأْيِي مِنْ أَحْسَنِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

الرحمة وعدم الغلظة :

إن الاستعلاء والتطاول والفظاظة والغلظة هي من أهم أسباب نفور الإنسان عن سماع ما يقال أو قبوله ولو كان حقاً ، فلا بد من اعتماد الوسائل الفاضلة للغايات النبيلة إذا كان الهدف هو الوصول إلى الحق أو الالتقاء على القواسم المشتركة ، إن سياسة الإملاءات والتهديد هي أقصر الوسائل لتنفير النفوس وصَمَّ

